تجربة شاعر

دراسة لفن بشّار

للدكتور مصطفى الصاوى الجوينى

لقطات من شريط حياته :

هذا الشاعر تغرى حياته فنان اليوم أن يخرجها فى شكل أدبى معاصر. ذلك أن حياته شريط سينمائى مثير وشخصيته ومواقفه رواية تغرى الكاتب وسلوكه ومذهبه مشاهد تحصن المسرحى أن يأخذ عنها ولكنا هنا نلتزم حد المقالة الأدبية.

ولد بشار فى أواخر القرن الأول للهجرة حوالى عام خمس وتسعين هجرية فى آخر سنة من خلافة الوليد بن عبد الملك على الأرجح وكانت ولادته بالبصرة ولا ندرى أين فيها ! ؟ ولئن زعم بشار أنه من طخارستان - غربى نهر جيحون - ومن أكثرها فى الفرسان فهو قد فاخر بقوميته الفارسية وليس بمنبته الخاص . يقول:

ونبئت قوماً بهم جنـــــــة ... يقـــولون من ذا ؟ وكنت العلم.

ألا أيها السائلى جاهـــــــدا ... ليعرفنى أنا أصـــــــل الكرم.

نمت فى الكرام - بنى عامـــــر ... فروعى، وأصـــلى قريش العجم

وروايات الأغانى كلها تجمع على أن برداً - أبا بشار كان من سبى المهلب بن أبى صفرة. وأنه زوج إمرأة من بنى عقيل ثم أدركها العطف على بشار وهو الغلام المكفوف فأعتقته ولما يزل برد فى صداقها ولقد كان أبوه برد طياناً يضرب اللبن ولعله لم يكن بالرقيق الحال . يقول أبو عبيدة عنه : (كان برد أبو بشار طياناً حازماً بالتطيين) . ولد إذن بشار أعمى وهو فى ذلك يقول :

عميت جنينـــا والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن للعلم موئلا

وإذا كان التصوير الفوتوغرافى من محدثات عصرنا فللقدماء تصاويرهم القولية ،

وقد وصفه الاصمعي : (كان بشار ضخماً عظيم الخلق والوجه ، مجدوراً جاحظ المقلتين قد تفشاهما لحم أحمر فكان أقبح الناس عمى وأفظعه منظرا(وقال بشار فى صفة نفسه : (. . . والله إني لطويل القامة ، عظيم الهامة تام الألواح أسبج الخدين) وفى أغلب الظن أن بشاراً لقب بالمرعث لأنه كان فى أذنه وهو صغير رعاث. ونشأ بشار فى البصرة وتعلم على شيوخها فلما أينع أخرج إلى البادية . وفى الأغانى أن بشاراً سئل : (ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وأنه ليس فى شعرك ما يشك فيه). فقال : (ومن أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت ههنا ، ونشأت فى حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ وإذا دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت فمن أين يأتيني الخطأ ؟) . ولعل ما نعرفه عن أسرة بشار قليل جداً ؛ فى الأغانى نرى لبشار مقطوعتين يرثى بهما ابناً له وبنتاً ماتا صغيرين ويغلب على الظن أنه لم يرزق سواهما . وفى البيان والتبيين « يورد لنا الجاحظ بيتاً هجا حماد عجرد به بشاراً وذكر أخويه لأمه فقال :

لقد ولدت أم الأكيسمة أعرجا وآخر مقطوع القفا ناقص العضد

يقول الجاحظ : وكانوا ثلاثة مختلفى الآباء والأم واحدة وكلهم ولد زمناً . ولذلك قال بعض من يهجوه :

إذا دعاه الخال أقعى ونكّصْ وهُجنَة الأطراف فيه بالخصص

وقال صفوان الأنصارى فى بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم :

ولَدْتِ خُلْداً وذيخاً نى مَشْتَمَه وبَعْدَه خُزَزاً يشتد فى العضد
ثلاثة من ثلاث فُرِّقوا فرقـــاً فاعترف بذلك عرْقَ الخال من ولد

وإذن فكل ما نعرفه عن أسرة بشار هو أنه كان له ابن وبنت ماتا صغيرين وأنه كان له أخوان مختلفا الآباء والأم واحدة . وأما أم بشار فلا نعرف عنها شيئاً حتى اسمها . وقد توفى برد أبو بشار وبشار فى حداثته . نرجع إلى بشار لنقول إن بشاراً قال الشعر وهو صبي دون العاشرة وكان أول ما هجي به الهجاء فكان الناس يجيئون إلى أبيه فيشكونه فيضربه ضرباً مبرحاً فلا ينتهى ويقول لأبيه : (إن هذا الذى يشكونه

إليك منى هو قول الشعر وإنى إن أتممت عليك أغنيتك وسائر أهلى). وتسقط الدولة الأموية عام ١٣٢ هـ فإذا بشار فى العقد الرابع من عمره وإذا له حوالى ربع قرن وهو يقول الشعر . ولكن للأسف لم يبق إلا النذر القليل من أخباره وشعره فى العهد الأموى . ومن يدرى ؟ لعل ما كان يتكسب به بشار من شعر فى العهد الأموى قد اندثر حين أوليت الخلافة للعباسيين . ومهما يكن من شىء فقد بقى لنا من هذا النذر القليل بأيته فى مدح عمر بن هبيرة — أمير العراق من قبل الأمويين — والتى يقول فيها :

يخاف المنايـا إن ترحلت صاحبى ... كأن المنايـا فى المقـام تناسبه
فقلت له إن العـــراق مقامـــه ... وخيم إذا هبت عليك جنائبه
لألقـــى بنى عيلان إن قفالهـــم ... تزيـد على كـــل الفعال مراتبه
أولاك الألى شقوا العمى بسيوفهم ... عن العين حتى أبصر الحق طالبه

وبقى أيضاً قصيدة مدح بها سليمان بن هشام بن عبد الملك مطلعها :

نأتك على طول التجـاور زينب ... وما شعرت أن النوى سوف تشعب

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان يبخل فلم يرضها وانصرف عنه مغضباً وهجاه بأبيات منها :

فاكحل بعيدة مقلتيك من القذى ... ويوشـــك رؤيتها مـــن الحملان
فلقرب من تهوى وأنـــت متيم ... أشفى لدائك من بنى مـــروان

ورجع بشار إلى العراق حيث أكرمه وبره عمر بن هبيرة .

ويصير الأمر إلى الدولة العباسية فيسير بشار فى هذا العهد الجديد سيرته الماضية متكسباً بشعره إن مدحاً وإن هجواً وينال جوائز الخلفاء والأمراء والأعيان و يمنع عطاياهم . ولا ننسى أن بشاراً فى ذلك العهد كان — كما يقول صاحب الأغانى — أحد ستة نفر من أصحاب الكلام فى البصرة ثم إن كلا ذهب مذهباً إلا بشار فقد بقى وحده متحيراً مخلطاً .

ولندع ذلك كله لنرى كيف كان يقضى بشار هذا معظم أيامه . يقول أبو الفرج إنه كان لبشار فى داره مجلسان : مجلس يجلس فيه بالغداة يسميه (البردان) ومجلس يجلس فيه بالعشى اسمه (الرقيق) وكان النسوة يأتينه فى مجلسه ليسمعن شعره ويحادثنه ويعاتبنه . ويسأله بعضهن أحياناً أن يقول لهن شعراً فيحن فيه وكان

ربما عشق إمرأة لرقة صوتها وأنوثته فيرسل غلامه يتبعها ويعرفها محبة سيده لها وهيامه بها أو يرسل معه برقعة فيها من الشعر ما يفصح عن حبه لها أو ما أوحت هي به إليه وكان بعضهن يدعونه إلى زيارتهن فيذهب إليهن وحده أو مع صديق ليقضي هو أو ليقضيا معاً أوقاتاً كلها عبث وفسق ومجون . وكان يحضر مجلسه أيضاً من الرجال رواة شعره وتلاميذه والمتأدبون عليه والمعجبون به وغيرهم من أصحاب الكلام ومحبي الجدل والمنازعة فبيته أبداً معمور كما قال :

نارى محرقـــة وبيتى واســع للمقتنعين ومجلسى معمـــــــور

يقول صاحب الأغانى عمن روى : (عهدى بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة إلا يروى من شعر بشار . ولا نائحة ولا مغنيه إلا تتكسب به ولا ذو شرف إلا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه) . وبشار حين يتغزل فإنما يتغزل متهالكاً على اللذة مسرفاً فى المجون وهو فى الوقت عينه حاقن على الفسق مغر بالفجور حتى ضج الشيوخ وأهل الصلاح من ناس البصرة وأهابوا بالمهدى أن يكف بشاراً عن الغزل . فى الأغانى :) أنه بلغ المهدى قول بشار :

قاس الهموم تنـــل بهـا نجحاً والليـــل إن وراءه صبحـــــا
لا يؤيسنك من مخبـــــأة قـــول تغاظـــــه وإن جرحا
عســـر النساء إلى ميســـرة والصعـــب يمكـــن بعدما جمحا

فلما قدم عليه استنشدهذا الشعر فأنشده إياه وكان المهدى غيوراً فغضب وقال : (. . . أتحض الناس على الفجور وتقذف المحصنات المخبآت ! والله لئن قلت بعد هذا بيتاً واحداً فى نسيب لآتين على روحك . فقال بشار فى ذلك :

والله لولا رضـــا الخليفة مـــا أعطيت ضيمـــاً على فى شجـــن
شعراً تصلى له العواتـــق دالا ثيـــب صلاة الغواة للوثـــــن
ثم نهانى المهـدى فانصرفـــت نفسى صنيـــع الموفـــق اللقـــن

ثم أنشده قصيدة وصف بها تركه التشبيب ومدحه فقال :

تسلى عن الأحباب صرام خله ووصال أخرى ما تقيم على أمر
ودكا من أفراس الصبابة والهوى جرت حجحاً ثم استقرت فما تجرى
وإن قصدت ذلت على متنصب ذليل القوى لا شى يغرى كما تغرى

تلاعب تيـــار البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجرى
إلى ملك من هاشم فى نبـــوة ومن حمير فى الملك فى العدد الدثر
من المشترين الحمد تندى من الندى - نداه ويندى عارضاه مـــن العطر
فالزمت حبلى حبـــل من لا تغبه عناة من حيث يدرى ولا تـــدرى
بنى لك عبد الله بيت خلافـــه نزلت بها بين الفراق والنســـــر
وعندك عهد من وصاة محمـــد فرعت به الأملاك من ولد النصر

فلم يحظ منه أيضاً بشىء فهجاه فقال فى قصيدته :

خليفة يزنى بعمامتـــــــــــــه

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى فسعى به إلى يعقوب بن داود وكان بشار قد هجاه فقال :

بنى أمية هبوا طال نومكـــم إن الخليفـــة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعـــــود

وكان قد هجا كذلك أخاه صالح بن داود لما ولى البصره فقال :

هم حملوا فوق المنابر صالحاً أخاك فضجت مـــن أخيك المنابر

وتوانى الوزير يعقوب بن داود الفرصة فيسارع إلى المهدى ليحمل له نبأ هجاء بشار إياه فى تحفظ وتملق ثم هو يغريه بقتل بشار لفسقه وزندقته وإذ يسمع المهدى ما قيل فيه من هجاء يغضب أشد الغضب ويأمر فى التو أن يضرب بشار ضرب التلف . ويبلغ الأمر البطيحة . ويؤتى بشار فإذا هو سكران يؤذن والوقت ضحى . ويجلد بشار سبعين سوطاً ولما يبين الموت فيه يلقى فى سفينة حتى يموت ويجىء بعض أهله فيحملونه إلى البصرة . وتخرج جنازته فلا يتبعها أحد من أهل البصرة إلا جاريه له سوداء سندية عجماء ، تصيح : واسيده ! واسيداه !! وكانت وفاته حوالى عام ١٦٧ هـ .

فى الأغانى (لما مات بشار ونعى إلى أهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضهم بعضاً وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا منوا به من لسانه) .

ملامح من شخصيته :

يقول الرواة : كان بشار جسيماً أعمى سلب البصر وعوض قوة فى الذكاء وحدة فى الذهن ودقة فى الحس وضخامة فى بناء الجسم . ترى أينشأ زاهداً عابداً أم ماجناً فاجراً ! ؟ يقول الرواه : شب بشار فرأى أباه مولى طيانا ورأى أمه ترضى أن تتخذ من عبد لها بعلا . فأنى لبشار أن ينشأ زاهداً وهذه بيئة كل ما فيها هوان فى هوان !! وأنى لبشار أن ينشأ زاهداً وأبوه أبعد ما يكون عن الفقه فى الدين !؟ يحكى صاحب الأغانى أن الناس كانوا يجيئون إلى برد فيشكون إليه لسان ابنه بشار ويهم بمؤاخذته لولا أن ينصح له بشار قائلا : إن جاءوك فى هذا فقل لهم : ألم يقل سبحانه « ليس على الأعمى حرج !؟ »

ويعمل الأب بنصيحة الإبن فيخرج الناس مغتاظين يقولون: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار ! ! وإذن فبيئة بشار قد أعدته منذ أول الأمر لأن ينحرف عن طريق الدين . ثم إن له وهو الجسيم طبيعته الحيوانية التى تُنفر عن اللذة ؛ تُنفّر عن شهوة اللحم والدم لتطفىء سعارها وأنى لمثل تلك النفس أن ينطفىء لها سعار ؟ ألم يحدثنا الرواة أنه وجد سكراناً يؤذن وهو فى السبعين من عمره فى تلك السن التى تخمد فيها نيران الشهوات بدموع التوبة والندم ؟

ومادام بشار قد ارتضى طريق المجون فعليه أن يعد للأمر عدته . عليه أن يدوس الحياء وأن لا يبالى بشرف أو دين ، عليه أن يسخر من الناس لأنهم سيسخرون من أعمى حيوان ، عليه أن لا يخاص لأحد لأن أحداً لن يخاص له ، عليه أن لايحفل بعدل أو ظلم لأن الناس لا تحفل بعدل ولا ظلم ؛ عليه أن لا يأبى بالا لما يخضع له الناس من قوانين الأرض وقوانين السماء . وليجعلن من قولته هذه شريعته التى ارتضى ! :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبسات الفاتك اللهج

إن بشاراً مولى وإنه أعمى وإنه حيوان ولكن له لسان ولكنه أعلم الناس بمثالب الناس ولكنه أذكى الناس ولكنه أشعر الناس وإذن فليلتمس الغنى عن طريق الشعر وليلتمس العظمة والسلطان عن طريق الشعر وليعلمن من لا يعلم أن شعره محى ومميت .

وأنا أخالف سيدى الدكتور طه حسين فى قوله إن بشاراً لما منحه الله به من قوة فى العقل وشدة فى الذكاء ونفاذ فى البصيرة وقوة فى الجسم ودقة فى الحس ونفس فوارة بالشهوة جائعة أبداً إلى اللذة - أخالفه فى قوله إن ذلك كله مضافاً إليه إليه سخرية الناس ببشار قد جعله يسخط سخطاً شديداً على الحياة والأحياء لما يجر عليه من حرمان). والحق أن بشاراً أحب الانغماس فى المجتمع و أحب الحياة كل الحب وهو منذ أول الأمر يعلم أنه عرضة للسخرية والتعذر به ولكنه كان له أسلحته التى حرمها المبصرون ممن رزقوا طبيعته الحيوانية بل إنهم ليحسدونه عليها. وكل ما هنالك أن بشاراً حين رأى الناس يفرقون من لسانه ورأى أنه وهو الكفيف صاحب سلطان على المبصرين - وفى النفس غريزة السيطرة - تمادى ولج فى الأمر حتى يبقى له سلطانه أبداً ثم إنه أسرف فى ازدراء الناس والسخر منهم لأنهم ضعاف دونه ولئن صادفه من يقوى عليه سلاطة لسان فحينئذ نرى بشاراً ذليلا منكسراً. وبشار إن ذكر حيناً ما حرمه من نعمة البصر فلا جدال أنه يأسى ولكنه أسى إلى زوال سريع . ولنفصل فى هذا الذى قلنا بعض التفصيل .

قلنا إنه كان على بشار أن يسقط الحياء وهل أدل على سقوط حيائه من أنه يكشف عن سوأته ليبول وأمامه زائريه . وإذ يراجعونه فى هذا الذى فعل يجيب : أنتم بصراء وأنا مكفوف وعلى المبصر أن يغض من بصره ! ! ثم لنتتبع بشاراً الساخر المستهتر فى الأغانى) : هو فارس ولكنه يهجو سيباويه فيقول :

سيباويه يابن الفارسية ما الذى تحدثت عن شتمى وما كنت تنبذ

وبشار شاعر يتكسب بالشعر ولكنه يهزأ بإخوته الشعراء . سمع عقبة بن رؤية يقول : إنى وأبى وجدى فتحنا الغريب للناس وأنا جدير أن أسده عليهم فقال بشار : إرحمهم رحمك الله ! فقال عقبة : أتستخف بى وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال بشار : إذن أنت من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . مستهتر حتى فى شعره ! إن أعوزته اللفظة أتى بها لم تسمع ولم تقرأ ؛ هو يخلقها من عدم ! وهو حين قال فى بعض غزله :

صببت هواك عـــلى قلبـــه فضـــاق وأعان ما قـــد كتم
وقالت هويت فمت راشـــداً كما مات عروة غمـــاً بغـــم

دست إليها أبا مجـــــــاز وأى فـــتى إن صـــاب اعترام
فما زلت حـــتى أنابت لـــه فراح وحـــل لنـــا ما حـــرم

سأله سامع : ومن هو أبو مجاز ؟ فقال : وما حاجتك إليه ؟ ألك عليه دين ؟ أتطالبه بطائلة ، هو رجل يتردد بينى وبين معارفى فى رسائلى .

وهو أعمى ولكنه يسخر بالعمى والبصر جميعاً ! فى الأغانى : (سأله رجل عن منزله ذكره له فجعل يفهمه والرجل لا يفهم فلما يئس منه بشار أخذ بيده وقام يقوده إلى المنزل الذى يبنيه وجعل ينشد فى طريقه :

أعمى يقـود بصيراً لا أبا لكمو قد ضلّ من كانت العميان تهديه

وظل يقوده حتى وصل به إلى المنزل ثم دفعه إلى داخله وقال له : (هذا هو المنزل لأعمى ! !)

مستخف بالدين ورجاله .

مر بشار بقاضى البصرة فسمعه يقول فى قصصه : من صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً فى الجنة صحنه ألف فرسخ فى مثلها وعلوه ألف فرسخ وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ فى مثلها فالتفت بشار إلى قائده : يشت والله الدار هذه فى كانون الثانى ! !

ثم هو مزدرٍ للناس جميعاً لا يخاص لأحد ولا أحد يخلص له . أشفق الناس من لسانه فداروه ووصلوه وبروه لاحباً له ولا عطفاً عليه وإنما خوفاً منه واتقاء لأذاه . تراه يمدح وهو يزدرى ممدوحه بل هو يكتفى بأن ينذر فيهجو بالبيت أو البيتين فيشفق المهجو من المزن فيرضى بشاراً : فى الأغانى (حدث الأصمعى قال : لما أنشد بشار أرجوزته :

ياطلل الحى بذات الصـــمـــد بالله خـــبر كيف كنت بعدى

أبا المُلَد عقبة بن سلم أمر له بخمسين ألف درهم ، فأخرها عنه وكيلُه ثلاثة أيام فأمر غلامه بشار أن يكتب على باب عقبة عن يمين الباب :

ما زال ما مفيتـــنى من همى والوعد غـــم فأزح من غمى
إن لم ترد حمدى فراقب ذمى

فلما خرج عقبة رأى ذلك ، فقال هذه من فعلات بشار ثم دعا بالقهرمان فقال : زد فيها عشرة آلاف درهم واحملها إليه الساعة فحملها من وقته ! !

وفى الأغانى أيضاً أنه (ورد بشار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه فوعدَه ومطله فوقف على طريقه وهو يريد المسجد فأخذ بلجام نيلته وأنشده :

أطلت علينـــا منك يوماً سحابة ... أضاءت لنا برقاً وأبطار شاشها
فلا عينها يجلى فييأس جامـــــع ... ولاغيثها يأتى فيروى عطاشها

فحبس نيلته وأمر له بعشرة آلاف درهم . وقال : ان تنصرف السحابة حتى تبلك إن شاء الله ،

وما ظننا برجل يزدرى الناس ويستخف بشأن الدين إلا أنه يزدرى المال أيضاً مادامت لفظة ينطقها لسانه تركض وراءها الدراهم والدنانير ! ! يروى لنا صاحب الأغانى أن أخوة بشار كانوا يلبسون ثيابه ويخافون فيها روائح نتنة . وفى يوم أنكر بعض الناس عليه تلك الريح فقال : إنما ذلك صلة الرحم ! ! وأيضاً : جاءه أبو الشمقمق يشكو إليه الضيقة ويخاف له أنه ما عنده شيء فقال له بشار : والله ما عندى شيء يغنيك ولكن قم معى إلى عقبة بن سلم فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعر وله شكر وثناء فأمر له بخمسمائة درهم فقال له بشار :

يا واحـــد العـــرب الذى ... أمسى وليس له نظـــير
لو كان قبلك آخـــــر ... ما كان فى الدنيـــا فقير

فأمر لبشار بألفى درهم فقال له أبو الشمقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ . فجعل بشار يضحك . وبعد . فالذى ازدرى كل شيء عليه أن يكبر نفسه ويرتفع بها فوق منزلتها : فهو (إذا أراد أن ينشد صفق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله) . وكأنى به يقول للناس فى سخرية مرة : أزدريكم ! أزدريكم ! إسمعوا لى فما على الأرض عظيم إلاى ! ! وبشار أعمى ولكنه يفخر بعماه فيقول :

عميت جنيناً والذكاء من العمى ... فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعلم رافـداً ... بقلب إذا ما ضيع الناس حصّلا
وشعر كنور الروض لاءمت بينه ... بقول إذا ما أحزَنَ الشعر أسهلا

وهو قبيح تسأله إمرأة : (ما أدرى لم يهابك الناس مع قبح وجهك ؟) فيقول لها : (ليس من حسنه يهاب الأسد) .

ويؤكد ذلك فى شعره فيقول :

ولى المهابة فى الأحبـــة والعـــدا وكأننى أسد لى تامـــور
غرثت حلياتـــه وأخطأ صيـــده فله عـــلى لقم الطريق زئير

وتسأله ابنته قائلة : (يا أبت مالك يعرفك الناس ولا تعرفهم ، فيقول : كذلك الأمير يابنية !) وكان بشار عاتياً سليط اللسان حتى يبدو له ما يخيفه فيجبن وينكسر . يقول صاحب الأغانى : كان بشار يطعى أبا الشمقمق فى كل سنة مائتى درهم فأتاه أبو الشمقمق فى بعض تلك السنين فقال له : هاتم الجزية ياأبا معاذ ، فقال : ويحك ، أجزيه هى ! قال : هو ما تسمع ، فقال له بشار يمازحه : أنت أنت أفصح منى ؟ قال : لا . قال فأعلم منى بحث لب الناس ؟ قال لا . قال : فأشعر منى ؟ قال : لا . قال : فلم أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك ! ، فقال له : إن هجوتنى هجوتك ! فقال له أبو الشمقمق : هكذا ! ؟ قال : نعم ! فقل مابدا لك . فقال أبو الشمقمق

إنى إذا ما شاعـــر هجانيـــه ولج فى القول له لسانيـــه

. . . . . بشار يا بشـــار . . . . . .

وأراد أن يقول (يابن . . .) فوثب بشار فأمسك فاه ، وقال ، : : أراد والله أن يشتمنى ثم دفع إليه مائتى درهم ثم قال له : لا يسمعن منك هذا الصبيان يا أبا الشمقمق . وفى الأغانى أيضاً : (أنه طلب إلى رجل مصور أن يتخذ له جاماً ويرسم فيه طيراً فأقبل إليه الرجل بطليته ووصف له ما صنع فغضب بشار وقال : كان يجب أن ترسم طيراً جارحاً يصيد هذه الطيور وأنا أعلم أنك تستخف بى لأنى أعمى ولكنى سأهجوك قال الرجل : ولن تفعل ولئن فعلت لتكونن من النادمين . فقال بشار : أو تتندر بى ! ؟ قال الرجل : نعم قال بشار : وكيف ؟ قال الرجل أصورك على صورتك ومن ورائك قرد . . . وأضع ذلك على بابى . فقهقهه بشار وصفق بيديه . وقال : قاتله الله ! أمازحه فيأبى إلا الجد !

ثم إن بشاراً كان كما يقول صاحب الأغانى متحيراً مخاطاً لا يعان شيئاً بعينه تراه تارة يدين بالرجعة ويكفر الأمة كلها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لأنها حادت عن طريق الدين . ولما يسأل عن على رضى الله عنه يتمثل بقول عمرو بن كلثوم :

وماشر الثلاثة أم عمـــــــرو بصاحبـــك الذى لا تصبحينـــا

وتارة أخرى يصوب رأى إبليس فى تقديم النار ويذكر ذلك فى شعره فيقول :

الأرض مظلمة والنار مشرقـــة والنار معبودة مذ كانت النـــار

ومرة ثالثة هو جبرى يرى أن لا بد له فيما يأتى أو يدع من خير أو شر وأن ليس عليه حساب فيقول :

طبعت على مافى غير مخـــير هواى ولو خيرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وقصر علمى أن أنـاك المغيبـــا
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر وأمسى وما أعقبت إلا التعجبا

ثم هو من بعد مؤمن يخشى العقاب ويرجو الثواب :

بدا لى أن الدهر يقدح فى الصفا وأن بقائى إن حييت قليـــــل
مفش خائفاً للموت أو غير خائف على كل نفس للحام دليـــل
خليلك من قدمت من عمل التقى وليس لأيام المنون خليـــــل

ثم هو فى حقيقة الأمر يضمر الزندقة ويدفعها عن نفسه بأن يرمى بها غيره . يقول فى حماد عجرد :

أين نهجـى رأس عـــلى ثقيل واحتمال الرءوس خطب جليل
أرع غيرى إلى عبادة الأثنـــــ ـين فإنى بواحـــد مشغـــــول
ياأبن نهى برئت منـك إلى اللـ ـه جهاراً وزاك منى قليـــــل

وأنا أخالف الأستاذين العقاد والمازنى وأوافق أستاذنا الجليل الدكتور طه حسين بك فى أن بشاراً كان زنديقاً . يكفى فى إثبات ذلك أنه يكفر جميع الأمة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ويكفى أنه يؤثر النار على الطين ويكفى أنه جبرى ولن يبقى إلا زعمه بانه مؤمن ! ! ؟ لقد كان بشار زنديقاً وإلا لما بلغ الأمر برجل معتزلى جليل كواصل بن عطاء أن يقول : كما يحدثنا صاحب الأغانى : (أما لهذا الأعمى الملحد ، أما لهذا الشنف المكنى بأبى معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الفيلة تحبه من سجايا الغالبة لدست إليه من يبعج بطنه فى جون منزله أو فى حفله ، ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلى أو سدوسى (وما ظنك برجل يضمر الزندقة ولا يعلنها إلا أنه جبان منافق ! ! وما ظنك برجل يمدح وهو يزدرى ممدوحه

— كما قدمنا — إلا أنه جبان منافق أيضاً ! ! ؟ ثم يبقى أن بشاراً كان فى حقيقة الأمر فارسياً فى كل شئ . فارسيا فى زندقته لإيثاره النار على الطين فارسياً فى أهوائه وميوله السياسية إذ هو يحب العلويين ويبغض العرب وينكر الولاء ويحض على إنكاره وأكثر من هذا كله أنه يفاخر بفارسيته حتى أمام الخليفة المهدى. يفخر بشار بخراسان فيقول :

وعجـــابى معشر كلهم حمق ... وأم لهم ذاك الحمـــق
ليس من جرم ولكن غاظهـــم ... شر فى العارض سد الأفق
من خراسان وبيتى فى الذرى ... ولدى المسعاة فرعى تدسحق

ويتبرأ من الولاء فيقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم ... مولى العريب فخذ بفضلك فانغر
مولاك أكرم من تميم كلهـــا ... أهل النعال ومن قريش المعشر
فارجع إلى مولاك غير مدافـــع ... سبحان مولاك الأجل الأكبر

ثم هو يدعو الموالى إلى نبذ ولائهم للعرب . فى الأغانى (أن رجلاً من بنى زيد قال لبشار : يا بشار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم إلى الانتفاء منا وترغبهم فى الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء وأنت غير زاكى الفرع ولا معروف الأصل ! فقال له بشار : والله لأصلى أكرم من الذهب ولفرعى أزكى من عمل الأبرار وما فى الأرض كلب يود أن نسبك له ينسبه) . وقال له عربى : وما للموالى والشعر ؟ قال بشار يهجو العرب :

أحين كسيت بعد العرى خـــزا ... ونادمت الكرام على العقـار
تفـــاخر يا بن راعيـــة وراع ... بنى الأحرار حسبك من خسار
وكنت إذا ظمئـــت إلى قراء ... شربت الكأس فى ولغ الإطار
تريم بخطبـــة كسر المـــــوالى ... وينسيك المكارم صيد فار
وتغلو للقنـــافد تدرّيهـــــا ... ولم تعقـــل بدراج الديـــار
وتتشح الشمـــال للابسيهـــــا ... وترعى الضأن بالبلـــد القفار

وأخيراً كان بشار ولوعاً الولع كله بالنساء . سئل (أى متاع الدنيا آثر عندك ؟ فقال : طعام مر وشراب مر وبنت عشرين بكر) . فهو كان يحبهن صغيرات،

أبكار ناعمات يذللن لخشونته . يلاعبهن فيلاعبنه ويسألهن ما يسألهن فيجيبهن ثم هو يعضهن فى شفاهن وإن أذرين الدمع ندماً على مقلتهن وخوفاً من أهلهن ثم هن بعد ذلك يلهجن بظفره وغلبته واقتداره عليهن وهن اللعوبات ذوات الدلال . نرى هذا كله وأكثر منه فى غزله المسف وليكن مثالنا هنا القصيدة التى مطلعها :

عجبت فاطم من نعـــــتى لها هل يجيد النعت مكفوف البصر

ولقد كان غزله كله إغراء بالفجور حتى ضج الناس فى البصرة من الشيوخ ورجال الدين وهتف به خطباؤهم ومتكلموهم ولكنه لم يرعو ولج فى عناده حتى صار يلهج بشعره فتيان البصرة ونساءها وفتنوا به وكانوا يأتون منزله لمجاذبته أطراف الحديث أو العبث واللهو معه . وأرجو أن أعذر إن لم أضرب الأمثال لسيرة بشار مع النساء ففى (الأغانى) قصص يندى لها الجبين خجلا وهى إن دلت على شىء فعلى أن بشاراً كان يذل كرامته فى سبيل شهوته الحيوانية . والواقع أن المهدى كان محقاً حين نهى بشار عن الغزل المسف وأنذره بالموت إن عاد إلى التشبيب يقول بشار فى ذلك :

ومخضب رخص البنـــــا ن بكى عـــــلى وما بكيته
ويشـوقنى بيت الحـــبيب إذا ادكرت وأين بيتـــــه
قام الخليـــــفة دونـــه فصبرت عنـــــه وما ماليته
ونهـــانى الملك الهـــما م عن النسيب وما عصيتـــه
لا بل وفيت فلم أضـــــع عهـداً ولا وأياً وأيتـــــه

فى إبداعـــه الشـــعرى

يقول أبو الفرج : (سئل بشار : ليس لأحد من شعراء العرب شعرٌ إلا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وأنه ليس فى شعرك ما يشك فيه ، فقال : ومن أين يأتينى الخطأ ؟ ولدت ههنا ونشأت فى حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ وإذا دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت فمن أين يأتينى الخطأ ؟) وإذن فنشأة بشار من هذه الناحية عربية خالصة وهذا هو السبب فى سلامة عبارته

وجزالة أسلوبه . هذه هي البيئة اللغوية التي نضجت فيها سليقة بشار اللغوية ثم هناك بيئة أدبية غذت شاعريته . إذ هو قد أدرك أواخر الدولة الأموية وسمع روايات الناس عن مناقضات جرير والفرزدق ولقد أراد وهو صبي أن يكون شيئاً مثلهما باقتفاء أثرهما . وهو في هذا يقول : (هجوت جريراً فأعرض عني واستصغرني ولو أجابني لكنت أشعر الناس.) أراد إذن بشار منذ أول الأمر أن ينحو منحى هذين الشاعرين إذ رأى أن هوى الرواة في حفظ مساجلات الشعراء ثم إنه رأى الهجاء باباً من أوسع أبواب الكسب وقتئذ حتى إنه قال : (إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئام على المديح فليستعد للفقر وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى) ثم إنه رأى أن الشعراء حين يزدحمون على باب مرتزق فإنهم يتهاجون كي ينفرد واحد منهم بهذا المرتزق ثم إن الولاة يغرون بعض الشعراء ببعض كي يلهوا بأهاجيهم ويلتذوا برؤية عراكهم . ثم إن بشاراً رأى وهو الأعمى أنه في أشد الحاجة إلى أن يتخذ من لسانه السليط سلاحاً يدافع به عن نفسه ممن يسخر منه أو يستخف بشأنه . وإذن فبشار قد اتخذ من نقائض جرير والفرزدق مثله الأعلى الذي يرنو إليه أبداً . ولعل هذا هو ما جعل أبا عبيدة يفطن إلى أن ميمية بشار التي قالها في مدح ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن ثم غيرها بعد مقتل إبراهيم وجعلها في مدح المنصور بعد أن وضع (أبا مسلم) موضع (أبا جعفر) والتي مطلعها :

أبا جعفـــر ما طـــول عيش بدائم وما سالم عما قـــليل بسالم

أقول لعل هذا هو ما جعل أبو عبيدة يفطن إلى أن هذه الميمية أفضل من ميميتي جرير والفرزدق .

أما ميمية الفرزدق فقد قالها عند مقتل قتيبة بن مسلم يشمت في مقتله ويمدح سليمان بن عبد الملك . ومطلعها :

تحن بزوراء المـــدينة ناقـــتي حنين عجول تبتغي البورائمي

وقد قال جرير يرد عليه بقصيدة أخرى هي نقيضة هذه الميمية :

ألاحيّ ربع المـــــنزل المتقادم وما حل مذ حلت به أم سالم

ونحن إن أردنا تبين تأثر بشار بهاتين القصيدتين فنحن لن نجد هذا التأثر فى الزام بشار البحر والقافية فحسب ولكن أيضاً فى روح الصياغة . فبشار يقول فى شطرة من بيت :

فإن الخوافى عدة للقوادم

وجرير يقول : وريش الذنابى تابع للقوادم

وبشار إذ يقول :

على الملك الجبـــار يتمم الروى ويصرعه فى المأزق المتلاحم

فكأنه كان ينظر إلى بيت جرير :

وقبلك ما أخـــزى الأخيطل قومـه وأسلمهم للمأزق المتلاحم

وبشار إذ يقول :

كأنك لم تسمع بقتـــــل متـوج عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم

كأنه ينظر إلى قول الفرزدق :

كأنك لم تســمــع تميماً إذ دعت تميم ولم تسمع ببوم بن خازم

ثم أليس بشار هو القائل : (لم أزل منذ سمعت إمرأ القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث يقول :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

أعمل نفسى فى تشبيه شيئين بشيئين حتى قلت :

كأن مثار النقـع فـــوق رؤوســنا وأسيافنا ليل تهـــادى كواكبه

وبشار يعمد عمداً ويقصد قصداً إلى أن يصوغ بعض شعره صياغة بدوية فى المعنى وفى اللفظ وفى التركيب جميعاً . القصيدة البدوية عند بشار (كُلٌ) ألفاظها بدوية ومعانيها بدوية وتركيبها يتلاءم وعمود الشعر العربى . ألم يحدثنا صاحب الأغانى : أن خلف الأحمر وخلف بن أبى عمرو بن العلاء جاءا بشاراً يوماً فقالا له : ما أحدثت فقد بلغنا عنك قصيدة قلتها فى مدح سلم بن قتيبة أكثرت فيها من الغريب . قال هو ما بلغتكما وقد علمت أن سلما يتغاضب بالغريب فأحببت أن أوردعليه أعرفه ثم أنشدهما القصيدة التى مطلعها :

بكـرا صاحبي قبـل الهجـير إن ذاك النجـاح فى التبكير

فقال له أحدهما: هلا قلت بكراً فالنجاح فى التبكير. فرد عليه إنما يريد أن يبنيها بدوية وحشية ولو قال : بكراً فالنجاح فى التبكير كان هذا أشبه بكلام المولدين . وهذه القصيدة وإن لم تكن قد وصلتنا إلا أن هناك أمثاله غيرها منها .

يا طلل الحى بذات الصمـد بالله خبر كيف كنت بعـدى
أوحشت من دعد ونؤى دعـد سقياً لأسماء أبنة الأسـود
قامت تراءى إذ رأتنى وحـدى كالشمس تحت الزبرج المنقـد
صدت بخد وجلت عن خـد ثم أنثنت كالنفس المرتد . . . الخ

ومنها قوله :

أبيت أرق مالم أكتمل بكـم وفى اكتمالى بكم شاف من الرد
رقت لكم كبدى حتى لو أتكم تهوون ألا أريد العيش لم أرد
كأن قلبى إذا ذكراكم عرضت منكرها روت أو ماروت فى عقد

هذا كله يمثل عنصر التقليد فى شعر بشار . . فما هو عنصر التجديد :

يقولون إن بشاراً كان من أصحاب البديع إذ فطن إلى أن فى العبارات القديمة من الأدب و من القرآن جمالاً أخذ فى تتبعه واستقصائه واهتم به واستخدمه فى شعره فكان من ذلك الجناس والطباق والاستعارة وغير ذلك مما أطلق عليه بعد ابن المعتز أسم البديع . ويبدو هذا أكثر ما يبدو فى غزل بشار الرقيق كأن يقول :

وجوار إذا تحلين لم تدر جـوار فى حليهـا أم ظبـاء
يتعرض لى بفاتـرة الطـرف إذا أقبلت ثنـاها الحيـاء
وحـديث كأنـه قطع الـ وض ففيه الصفـراء والحمـراء

أو يقول :

أتتنى الشمس زائـرة ولم تـك تبوح الفلـكا
تقول وقـد خلوت بهـا تحـدث وأكفـنى يـدكا

أو يقول :

وكأن رجع حديثهـا قطع الرياض زيادة كسين زهراً

وكأن تحت لسانهـــــــا هاروت ينفث فيه سحـــــــرا
وتخال ما جمعـــت عليـــــه ثيابها ذهباً وعطـــــــــــــرا

من تصويره للبيئة الاجتماعية :

وبشار قد أدرك شيخوخة الدولة الأموية وصبا الدولة العباسية استطاع — وهو الفنان — تصوير الحياة الإجتماعية فى هذا العهد الجديد تصويراً دقيقاً . قديماً كان الفخر بالقبيلة فأصبح الآن بالعصبية العربية أو الفارسية والغزل البدوى المتعفف صار إلى غزل حضرى كله تهتك وإسفاف . أما الهجاء فلم يكن كهجاء جرير والفرزدق بتعيير القبائل بعضها بنعال بعض وإنما كان الهجاء بالرمى بالكفر والزندقة والطعن فى الأعراض والسب والشتم فى فحش وإقذاع . ذلك كله ما جد على الموضوعات التقليدية من غزل وهجاء ومدح . . . فى هذا العهد الجديد والذى يمثله حق التمثيل شعر بشار) .

كان من شعر بشار القوى الجزل الذى يمثل الناحية الجاهلية التقليدية لأن ثقافته عربية خالصة ثم كان من شعره الرقيق السهل الذى يمثل الحياة الناعمة الرغدة فى هذا العهد الجديد خير تمثيل . ولا شك فى أن بشاراً كان غزير المادة جداً ففى الأغانى نرى بشارا ينسب لنفسه اثنى عشر ألف بيت جيد إذ كان له من القصيد اثنا عشر ألفاً وليس بكثير على بشار أن يكون له فى كل قصيدة بيت عين . ونستطيع أن نحكم على هذا المقدار الضخم من شعر بشار بما بقى منه . شعر بشار كله يمتاز بخصلتين أثنتين جامعتين : أولاهما : أنه خلو من صدق اللهجة والعاطفة وحبه كذب فى كذب (وسنرى ذلك عما قليل) ومدحه نفاق فى نفاق — كما سبق أن رأينا ، وهجاؤه شتم فى شتم لا يستطاع التمثل به هنا لفحشه . هجاء بشار لاقيمة فنية له وكل عمل بشار فيه أن يرص الشتائم وألفاظ السباب فى شعره رصاً فنياً إن صح هذا التعبير ثم هو يرمى الناس بأقذر النعوت وأخبث الأفعال مختاراً لذلك اللفظ الشائع السهل كى تسهل رواية هذا الشعر ويكون أفعل فى قتل المهجو من هنا كانت قوة هجائه ومرارته وإسفافه . فإن أبينا إلا التماس صدق العاطفة ففى التمرد وكان أسلوبه وفى لذة الحس وكانت منهجة .

الخصلة الثانية: أن شعره كله يمتاز بالتكلف، تكلف صانع فنان مقتدر يزن الكلام ويضعه موضعه إن أراد قصيدته بادية تكلف لها معنى بدوياً وإن أراد قصيدته حضرية تكلف لها معنى حضرياً مستخدماً فى الجد اللفظ الفخم الجزل الجافى وفى الهزل اللفظ الرقيق العذب المستف أحياناً كثيرة . وبشار لم يرتق فى شعره قط إلى أسمى مراتب الفن حتى حكمته لم تكن إلا ثمرة التجربة للحياة . وكيف نلتمس المعانى الروحية عند رجل مادى عبد لشهواته ؟ لنرى قوله :

ترجو غداً وغد كحاملة ... فى الحى لا يدرون ماتلد

إنه يقول : نحن لا علم لنا بالغيب . ثم لنرى قوله :

عتاب الفتى فى كل يوم بليـة ... وتقويم أضغان النساء عناء

إنه يقول : أليس هذا ثمرة تجاربة مع النساء اللائى يتحاسدن ويتباغضن !؟

ثم قوله : الحر يلحى والعصا للعبد ... وليس للملحق مثل السرد

ونقف هنا وقفة قصيرة عند غزله :

غزل بشار يمثل أمرين؛ يمثل أولاً تهالكاً على اللذة وجوعاً إلى الشهوة، ويمثل ثانياً رغبته فى الحض على الفسق والإغراء بالفجور وبشار يتخير أيسر الألفاظ والأساليب وأشدها سيرورة بين الفتيان والفتيات لتسهل رواية شعره و لتكون أفعل فى التأثير على الشباب وأهل الخلاعة . ثم إن غزل بشار ينقسم إلى قسمين : أولاً قسم تقليدى وثانياً قسم تجديدى أما القسم التقليدى فيجارى فيه الشعراء الجاهليين فى ألفاظهم ومعانيهم وأخيلتهم وتراكيبهم فيقول مثلاً :

هو صاحبى ريح الشمال إذا جرت ... وأشفى لنفسى أن تهب جنوب

وماذاك إلا أنها حين تنتحى ... تناهى وفيها من عبدة طيب

وأما الشعر التجديدى فى الغزل فبشار يخصه بالبحور الرقيقة المرقصة ويتوخى له سهولة اللفظ وسيرورته بين الشباب وأهل الخلاعة ثم يبرز المعانى التى تدور على الحس على نحو لم يؤلف فى الشعر العربى كان غزله هذا حسياً واقعياً يتناول أفحش المعانى وأشدها فجوراً بأسنوب قصصى يشبه أساوب عمر بن أبى ربيعة إلا أن فيه كثيراً من التصرف واستقلال الشخصية . فيه الخروج الشديد عن الاحتشام وفيه ذل المرأة الضعيفة أمام حيوانية الرجل القوى وكان بشار يحرص على إبراز هذا المعنى فى

قصيده فى الغزل لا لشىء إلا أنه مكفوف البصر يشعر بنقصه فهو يريد أن يعتاض بهذا النقص وبهذا الضعف قوة. وهذه القوة عند بشار هى قهر سلطان المرأة وعضها فى شفتيها ليرى أهلها فعلتها معه . ولعلنا واجدون فى القصيدة التالية تفصيلا لما أجملنا يقول :

قد لا منى فى خليتى عمـــــر ... واللوم فى غير كهفه ضجر زيادة
قال : أفق. قلت : لا ، فقال : "بلى ... قد شاع فى الناس منكما الخبر
قلت وإذا شاع ما اعتذارك مما ... ليس لى فيه عندهم عـــذر
ماذا عليهم ؟ ومالهم خرســـوا ... أو أنهم فى عيونهم نظـــروا
أعشق وحدى ويؤخذون بـــه ... كالترك تغزو فتؤخذ الخـــز
ياعجبـــاً للخلاف ياعجبـــاً ... بغى الذى لام فى الهوى الحجر
حسبى وحسب الذى كلفت بـــه ... منى ومنه الحديث والنظـــر
أو قبلة فى خلال زال ومـــا ... بأسى إذا .....
أو عضة فى ذراعها ولهـــا ... فوق ذراعى من عضها أثـــر
أو لمسة دون يربطها بيـــدى ... والباب قد حال دونه الســـتر
والساق براقة مخاخلهـــا ... أو مص ريق وقـــد علا البهـــر
واسترخت الكف للعراك وقالت ... إيه عنى والدمع منحـــدر
أنهض فما أنت كالذى زعمـوا ... أنت وربى مغازل أشـــر
قـد غابـت اليوم عنك حاضنتى ... والله لى منك منك ينتصـــر
يارب خذ لى فقد ترى ضرعى ... من فاســق جاء مابه سكـــر
أهوى إلى معضدى فرضغـــه ... ذو قـرة ما يطاق مقتـــدر
ألصق بى لحية لـــه خشنـــت ... ذات سواد كأنها الإبـــر
أقسم بالله لا نجوت بهـــا ... فاذهب فأنت المساور الظفـر
كيف بأسى إذا رأت شفـــتى ... أم كيف إن شاع منك ذا الخير
قد كنت أخشى الذى ابتليت به ... منك ، فى ذا أقول ياعـــبر
قلت لهـــا عند ذاك : ياسكنى ... لا بأس إنى مجرب خـــير
قولى لهـــا بقة لهـــا ظفـــر ... إن كان فى البـــق ما له ظفـــر

هل أحب بشار؟نعم لقدفتن بعبدة ولكن لعل فتنته بهاترجع أكثر ما ترجع إلى دلالهاوأقتدارها عليه . وعلى كل حال فقد أحبها لجمال جسدها وإلا فلو أحبها حباً صادقاً لرأينا أثر الحنين والشوق وتباريح الهوى فى شعره حاراً مؤثراً ولكن ليس فى شعره شيء من ذلك . أليس هو القائل لعبده :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ... ونفسى على الكرى طيف ألم
رفهى ياعبد عنى واعلمى ... أننى ياعبد من لحم ودم
إن فى بردى جسماً ناحلا ... لو توكأت عليه لانهدم
وإذا قلت لها جودى لنا ... خرجت بالصمت عن لا ونعم

أحق أن هذا الجاموس (كما وصفه واحد فى الأغانى) ناحل الجسم سريع الانهدام! ثم لم ياترى يقول هذا الكلام إن كان حقاً محباً لعبدة هائماً بها !؟

ياعبد بالله فرجى كربتى ... فقد برانى وشفنى نصبى
وضقت ذرعاً بما كلفت به ... من حبكم والحب فى تعب
ففرجى كربه شجيت بها ... وحر حزن فى الصدر كاللهب
ولا تظنى ما أشتكى لعباً ... ديهات قد جل ذاعن اللعب

غير أن عبدة كانت تعلم « أنه عابث » ! ! وبحسبنا هذا من شاعر عاش فى الظلام ليعربد .

المـــراجع

١ ــ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى .
٢ ــ حديث الأربعاء للدكتور طه حسين .
٣ ــ مراجعات فى الآداب والفنون للعقاد .
٤ ــ (بشـار) للأستاذ المازنى .
٥ ــ محاضرات الدكتور طه الحاجرى فى تاريخ الأدب العباسى .
٦ ــ مقال للأستاذ أحمد أمين عن أبى فراس المجدد الثانى .
٧ ــ تاريخ النقد الأدبى عند العرب للأستاذ طه ابراهيم .
٨ ــ البيان والتبيين جـ ١ للجاحظ .
٩ ــ ديوان بشـار .